# خواطر
# بين الصليبية وبين الإسلام[1]

في حشرجة الزنديق المحتضر، وفي سُعَار النابح المخبول، وقف ناعب الصليبية الوثني «سلوين لويد» وزير خارجية إنجلترا، يحذر وثنية الغرب الجاحدة من النور الذي بدأ يستهل من أفق الشرق المجيد، يحذر الصليبية التي توغل في الجمود الأصم من قائد مصر، لأنه وَحَّد قوىٰ العرب والمسلمين، ليدك بها سطوة الغرب الجائرة، فإذا ما كُتب له الغَلَب، فسيقضي علىٰ الحضارة المسيحية!!

قال «سلوين لويد» هذا؛ ليؤلب الصليبية مرة أخرىٰ ضد الإسلام، بل لتخسف هذا النور الوليد الحبيب قبل أن ينتشر، وتهتدي الإنسانية بإشراقه الجميل، وهكذا يلوذ هذا الغاصب الأحمق بما تلوذ به الصليبية دائمًا، وهي العصبية الحمقاء[2] التي تستعر حقدًا متأجِّجًا، وغلًّا مُحْتفًا، وحسدًا مقيتًا تأثر البغي ضد الإسلام.

ولست أدري ما تلك الحضارة الصليبية التي يقيء دنسُها علىٰ شدقيه؟!!

إن الحضارة في معناها الأصيل عند مبتدعيها تستهدف تحقيق السعادة للفرد وللمجتمع، وتعبيد السبيل للإنسانية؛ لتبلغ غايتها من الكمال المنشود، فهل حققت الحضارة الصليبية أثارة من ذلك؟! إنها عملت وتعمل علىٰ توطيد سطوة البغي

(١) (٢-٧/ ١٣٧٦).

(٢) من عبيد الغرب في الشرق شرذمة تعيب علينا أن نعتصم بشريعة الإسلام وتتهمنا بالتعصب!! يفعل ذلك رعاية لشعور سادته الإنجليز فما بالهم بهذه العصبية.

الجائر، واستعباد الشعوب التي لا ذنب لها سوىٰ أنها تنشد الحرية والسلام، فليس لها من هدف إلا شقاء الإنسانية، وتعاستها، وإن كان يعني بقوله ما سخره العلم من قوىٰ الكون للإنسان، أو هذا العلم نفسه، فليس أحدهما من نتاج الحضارة الصليبية المدَّعاة، وإنما هو نتاج العقل الإنساني العام.

سل الشعوب في آسيا وإفريقيا وأوربا، سل هذه الجماجم التي تعوي فيها الرياح ويطل العدم من محاجرها فزعًا ورهبة، سل تلك الأشلاء المنتثرة علىٰ الربوات والنجود في السهول والصحاري، إنها الصليبية الباغية التي تأبىٰ إلا أن تعب الدم المسفوح، وتطعم من لحوم الموتىٰ، وتبني هياكل جورها وشهواتها بجماجم الأرامل، وأرماق اليتامىٰ.

أما الحضارة الإسلامية، فسلوا المشرقين، وسلوا المغربين، فإن الإنسانية في شتىٰ مواطنها ومختلف نزعاتها لم تنعم بحياة رائعة وريفة النعيم، كتلك الحياة التي غرس الإسلام ربيعها اليانع، وأطلع شمسها الدافئة، وقمرها الوضيء، وجعل لياليها أعراس سعادة، وأفراح آمال، وصباحها إشراق بشائر، وأغاريد مجد يشع من سماته جلال الخلود، فكأنما اتصل أزلها بأبدها علىٰ ربوة من ربىٰ الفردوس. إنها حققت السعادة النفسية والمادية للفرد وللمجتمع، وبسطت سكينتها الآمنة علىٰ العالم في دعة وسلام ومحبة.

ترىٰ هل أنشأت الحضارة الصليبية مجتمعًا كذلك المجتمع الذي أنشأه وقوَّمه الإسلام في عهد محمد ﷺ، أو في عهد خلفائه؟ لقد كان المجتمع المثالي الذي تحققت فيه أزكىٰ وأسمىٰ المثل، وأرفع وأجل القيم، وأرقىٰ ما تصل الإنسانية من كمال ومجد ومحبة تلوذ بالإيثار الزكي والفدائية الملهمة، وكان الضمير بسيطرة

الإيمان عليه، هو الحاكم والقيم، فلم تعرف الجريمة الفردية أو الجماعية لها رَدْعَة، ولم يجد الإثم العامد له حمأة، بل كانت الأرض كلها قُدْسًا تَرِفُّ عليه روح الحب الطهور، والربانية المقدسة، أو محرابًا تتنزل في فجره الملائكة.

كان الفرد فيه يعرف حقه ويؤدي في صدق وعزيمة وحماس واجبه، لا يستلهم في ذلك إلا هدىٰ ربه، ولا يرجو من وراء ذلك إلا رضوان ربه، فإن استهوته خطيئة أو غام قلبه بإثم، استهلت في جوانب نفسه أنوار السماء فبددت ظلماتها. وثَمَّت يدفع بنفسه – وهو رَيَّان الرضا – إلىٰ أن يؤخذ بحق الله منه، دون أن يلوذ بيمين كاذبة، أو اختلاق شاهد زور يدرأ عنه حدود الله.

إنه داعب الفتنة، أو غازلته الخطيئة في غيابة الليل دون أن تلحظه حتىٰ نظرة حَيْرىٰ، أو تَسْمَع به أذن واعية، ولكن نور الإيمان يهتك عنه الحجب، فيدرك بحق أن هناك من كان يراه، وقد رآه، إنه ربه السميع البصير، وهو يحب ربه، يحب رضاه، ويخاف غضبه، فيغمره الحياء من الله، فيهفو مسرعًا لكي يقام عليه الحد الذي ربما أهلكه، ولكنه أعظم الناس سعادة بذلك، لأنه طهر الروح من لوثة الجسد، لأنه عاد إلىٰ الله.

وتلك فرنسا في دعارتها الْمسِفَّةِ في الصغار، وإنجلترا في جحودها المنكر، وأمريكا في ماديتها الحمقاء، إنها في ذروة حضارتها ومدنيتها تسفك في كل لحظة عشرين جريمة، وتقترف آلاف الخطايا الفردية، ولديها قوىٰ الشرطة المنبثة بطائراتها ودباباتها في كل مكان، فهل استطاعت أن تحمي المجتمع من بغي الفرد، وهل استطاعت أن تنشئ مجتمعًا ينعم بالدعة؟! بل أنشأته يستبد به الْقَلَق المدمِّر، ويعصف به الخوف القاتل، ولن تعرف السعادة طريقها إلىٰ نفس قلقة، أو قلب خائف.

أما في المجتمع الإسلامي الحق، فما كان ثَمَّ إلا الإيمان حارسًا يقظًا وقاضيًا عدلًا، يحرس الفرد، ويقضي في أمره إذا زلَّت به قدم، ولقد استفاض نور الإسلام حتىٰ غمر المشرقين، فلم تنعم الإنسانية بمثل ما نعمت به، وهي في حرمه وحماه، بل لقد عاشت في ظله المسيحية[1] واليهودية تنعمان بالأمن والرفاهية.

اسمعوا إلىٰ هذا المستشرق المسيحي الإنجليزي، وقد غلبه الحق، فأنصفه بعض الإنصاف: (لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين علىٰ قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدىٰ الخطتين، لاكتسحوا المسيحية).

بل إن الصليبيين - وقد ضمد المسلمون جراح ذلهم - أبوا إلا أن يكونوا حربًا دنيئة مستلئمة الكيد في استخفاء ضد من آووا أحلامهم الطريدة الشريدة، فيقول ذلك المستشرق نفسه عنهم: (إنهم استغلوا مناصبهم العالية في سلب أموال المؤمنين ومضايقتهم ومعاملتهم بشيء كثير من الغلظة والقحة وتجريدهم من أراضيهم وأموالهم، كما تعرضوا أيضًا لبغض كثير من المسلمين، وفي عصر متأخر اتهم المسيحيون في زمن الحروب الصليبية باتصالهم بالصليبيين اتصالًا ينطوي علىٰ الخيانة)[2]، هذا قول مستشرق يفخر بصليبيته، يشهد بأن قومه، أو سدنة الحضارة الصليبية في زعم «سلوين لويد» قد خانوا ذمة المسلمين الذين حَنَوْا عليهم في رفق، بل يشهد مرة أخرىٰ أن المسلمين كانوا أبر بالمسيحيين من الصليبيين

---

(١) في عرف أهل مصر أنهم يطلقون علىٰ النصرانية هذه الكلمة فتنبه! (ض).

(٢) هذا والنص الذي قبله عن كتاب: «الدعوة إلىٰ الإسلام» تأليف أرنولد ص(٧٣).

أنفسهم، فيقول عن الحروب الصليبية: (لقد اشترىٰ بعض المسلمين النقود الفرنسية التي ابتزها الإغريق «وهم مسيحيون» من الحجاج «يعني حجاج النصارىٰ» بالقوة والخداع ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم، فكان البون شاسعًا بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من المسلمين، وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة)(١).

هذا شاهد منهم!!.

**ونحن نقول:** لن تبلغ الإنسانية أملها المنشود في السلام والحب والخير والعدالة الشاملة المطلقة، والإخاء الإنساني العام إلا حين يسيطر عليها الإسلام مرة أخرىٰ.

**لا ندعى وهابيين:**

من أَجَلِّ الأئمة الذين مَنَّ الله بهم علىٰ المسلمين الشيخ الجليل «محمد بن عبد الوهاب»، إذ قام هذا الشيخ يدعو إلىٰ ربه علىٰ بصيرة تستلهم الحق من الكتاب والسنة، وكانت الوثنية في طغواها العاصفة والشرك في سطاه الجائر يجتاحان رمق النور الذابل، أو البقية اليتيمة من الخير في نفوس المسلمين، وكانت العصبية المذهبية في حماقتها وسفاهتها تغرس العداوة والبغضاء في قلوب المسلمين، وتضرب بهم في تيه من الشقاق الأثيم، وتجعل منهم أشتاتًا واهنة، فكافح هذا الشيخ الجليل الملهَم كفاحًا لا يرعشه أن ترجف الأرض من حوله، ولا أن يرعد الشرك بشياطينه حيال سمعه، حارب الشرك في سطوته الباغية،

---

(١) ص(٨٢) المصدر السابق.

والعصبية المذهبية في سفهها الأحمق، حتىٰ كتب له الله النصر والغلَب، فإذا أنوار التوحيد تشرق في جلال وعزة من الجزيرة العربية مرة أخرىٰ وأحنق هذا النصر طواغيت الشرك وكهنة المذهبية، فكان مما ظنوا أنهم يكيدون به له، هذه الفرية البلقاء الشوهاء التي زعموا بها أن شيخ الإسلام يريد أن يصنع مذهبًا خامسًا هو «الوهابية»، افتروا هذه الفرية ردًّا علىٰ الهزيمة النكراء التي دكت علىٰ رءوسهم هياكل الوثنية العصبية المذهبية، وسموا كل من آمن بما ذكَّره به الشيخ من الكتاب والسنة «وهابيًّا» ويشهد الله أن شيخ الإسلام وإخوانه يبرأون من هذه الفرية براءة التوحيد من الشرك، وبراءة الإسلام من الصوفية، فما دعا الناس يومًا إلىٰ نفسه، ولا إلىٰ مذهب جديد، ولكن دعاهم إلىٰ الله ورسوله، ما أمرهم بشيء مفترىٰ، ولكن ذكرهم بما أمرهم الله به ورسوله، دعاهم إلىٰ الكتاب والسنة، لا إلىٰ كتب صنعتها الشهوات أو افترتها الأهواء أو ابتدعها كهان المذاهب.. ما دعاهم إلىٰ أن يكونوا حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة، وإنما دعاهم إلىٰ أن يكونوا مسلمين!

وظلت هذه الفرية المفتراة يتواصىٰ بها مشرك عن مشرك حتىٰ رمانا بها المشركون المحدثون، أي الصوفيون - فالاسمان مترادفان معنىٰ وغاية - اختلقوا ذلك ردًّا علىٰ الساحق الماحق الفاتك من البراهين التي دمغتهم بالوثنية المادية الجاحدة الجامدة، والتي هتكت الأقنعة السحرية عن وجوههم، فإذا بها الشرك في أبشع وأحقر صوره، والتي جلت للمخدوعين حقائق هؤلاء الذين كانوا يزعمون أنهم أحباء آل البيت، فإذا بهم - وقد هتكنا عنهم الستر - أعداء رب البيت، والمطهرين من آل البيت، وإذا بهم سدنة أصنام يأتفكونها، ليطعموا سحت نذورها، وينتهكوا حرمات الله في ساحتها، ويسفكوا جريمة الغواية في باحاتها!!

يا هؤلاء!! لسنا والله بوهابيين، ولكننا مسلمون، فما يحل لمسلم أن ينزل عن التشرف بهذا الاسم الذي سماه به الله رب العالمين وينتحل اسمًا غيره أو يقبله ممن يحاول إلصاقه به.

